مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص267– ص310 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

تجليّات الموت في شعر نزار قباني :قراءة نقديّة

د. فوز سهيل نزال

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الجامعة الأردنية

ملخص: تتحدث هذه الدراسة عن فكرة الموت في شعر نزار قباني ،وكيف تجلت في مفردات وتراكيب خاصة، واكتسبت دلالات عبّرت عن موقف الشاعر من ما في الموت من معاني الزوال، والغياب، والصمت، والاستسلام، والتمرّد،والحقيقة، والقهر، والظلم، والجهل، وغيرها. كما تعقّبت الدراسةُ كلمةَ الموت وأخواتها كالقتل ، والذبح، والشنق، والاستشهاد، والدّفن والصلب، والاحتضار وغيرها ،وما يحيط بعالم الموت من مفردات تدلّ عليه بشكل غير مباشر كالقبر، والتابوت، والمقبرة ،والكفن، والجماجم، والدم، وأكاليل الورود .

وقاد تلمّس فكرة الموت في جلّ شعر نزار قباني إلى تصنيف حديثه عن الموت في محاور مخصوصة ، كان لكل محور نكهته الدلالية الخاصة ، وإن تداخلت هذه الدلالات وتناقضت أحياناً.

فقد تحدّث عن الموت في الحب، وأضفى عليه دلالات التمرّد ،والمواجهة، والذوبان في سبيل الهوى ،والخلود، والقرار المغامر دون خوف أو حساب ، وأحيانا دلّ بالموت على ذبول العاطفة وسكون المشاعر والملل القاهر والخيانة.

وتحدث عن الموت في الكتابة ، وبين أنّ الشاعر يفنى لتحيا المفردات في قصائده ، وأنّ الشعر صناعة صعبة تصل إلى حدود الموت وقد تودي بصاحبها إلى الموت وأنها ليست ترفاً.

وتحدث عن موت المرأة العربية في محاولة تغيير واقعها وكسر صمتها وتحقيق حريتها.

وبرز الموت في نقده للشارع العربي وما فيه من جهل ، وخيانة، ومصادرة للحريات واستبداد الحكّام ، وتحدث عن موت المدن العربية بالحروب الأهلية والفتن الطائفيّة وخصّ مدينة بيروت بهذا الحديث ،وفي الوقت ذاته أعلى من موت الشعوب العربية في سبيل أوطانها وسبيل حريتها ، وشمت بموت أعداء الأمة ناعتاً إياهم بالجراد وبالكلاب

وواجه الموت الحقيقي بالتمرد ،والتكذيب، والاستسلام، والبكاء، والحيرة، والاتهام والصراخ ، وذلك في قصائد مخصوصة حدثنا فيها عن موت أبيه وأمه وزوجته وابنه وزعيمه.

Manifestations Of Death In Nizar Qabbani's Poetry

Abstract: This study aims to explore the concept of death and its expressions in two levels of vocabulary and structure of Nizar Qabbani's Poetry . Additionally, how these expressions point to the attitude of the poet toward the meaning of demise, absence, silence, surrender, revolt, verity, subjugation,unfairness, and innocence, among others.

The current study tracked the semantic field of death, including the expressions of killing, homicide, hanging, martyrdom, burial, crucifixion, dying and others, as well as expressions indirectly associated with death such as “tomb”, “coffin”, “cemetery”, “shroud”, “skulls”, “blood” and, “crown of

roses". This is to identify the poet's conceptions of death, as well as the ways in which he links his expressive structures with conceptual references .

The study found that he has numerous, overlapping, and at times contradictory concepts of death. He dealt with death in love, giving love the meaning of rebellion, confrontation, demise of passion, immortality, and an adventurous and bold resolution. Death is used to indicate wilting passion, weak sentiment, intense boredom, and betrayal.

He talked about death for writing, exploring the idea that the poet may die in order to live the words of his/her poem. That is to say, poetry is a difficult product that may lead the writer to death, not luxury.

He spoke on the death of Arabic women to change their reality, break their silence, and to achieve their freedom.

Death also emerged in criticism of the Arab street, and its acts of ignorance, treason, confiscation of freedom and the tyranny of rulers. In addition, he talked about the death of Arabic cities during civil wars and sectarian strife, as in his description of Beirut. The death of Arabic people for their homelands and freedom was of particular cultural and historical importance, as opposed to the death of the enemies of Arab nation.

With regard to real death, it was followed by rebellion, denial, surrender, crying, confusion, accusation, and screaming. This was found in poems talking about the death of the poet's father, mother, wife, and son.

تمهيد: تتحدث هذه الدراسة عن فكرة الموت في شعر نزار قباني ،وكيف تجلت في مفردات وتراكيب خاصة، واكتسبت دلالات عبّرت عن موقف الشاعر من ما في الموت من معاني الزوال، والفناء والغياب، والصمت، والاستسلام، والتمرّد، والقرار، والمجابهة،والحقيقة، والقهر، والظلم، والجهل.

كما تعقّبت الدراسةُ كلمةَ الموت وأخواتها ؛كالقتل ،والتلاشي، والذبح، والشنق، والاستشهاد، والدّفن والصلب، والاحتضار وغيرها ،وما يحيط بعالم الموت من مفردات تدلّ عليه بشكل غير مباشر كالقبر، والتابوت، والمقبرة ،والكفن، والجماجم، والدم، وأكاليل الورود ...

وقاد تلمّس فكرة الموت في جلّ شعر نزار قباني إلى تصنيف حديثه عن الموت في محاور مخصوصة ، كان لكل محور نكهته الدلالية الخاصة ، وإن تداخلت هذه الدلالات وتناقضت أحيانا،فقد تحدّث عن الموت في الحب، وأضفى عليه دلالات التمرّد ،والمواجهة، والذوبان في سبيل الهوى ،والخلود، والقرار المغامر دون خوف أو حساب، وأحيانا دلّ بالموت على ذبول العاطفة وسكون المشاعر والملل القاهر والخيانة.

وتحدث عن الموت في الكتابة ، وبين أنّ الشاعر يفنى لتحيا المفردات في قصائده ، وأنّ الشعر صناعة صعبة تصل إلى حدود الموت ،وقد تؤدي بصاحبها إلى الموت ،فهي ليست ترفاً.

وتحدث عن موت المرأة الشرقية في محاولة تغيير واقعها ،وكسر صمتها، وتحقيق حريتها، والصعوبات التي تواجهها ، فتقتلها وتقتل إنسانيتها بسلاح أنوثتها .

وبرز الموت في نقده للشارع العربي وما فيه من جهل ، وخيانة، ومصادرة للحريات واستبداد الحّكّام ، وتحدث عن موت المدن العربية بالحروب الأهلية والفتن الطائفيّة . وفي الوقت ذاته أعلى من موت الشعوب العربية في سبيل أوطانها و حريتها ، وشمت بموت أعداء الأمة ، ناعتاً إياهم بالجراد وبالكلاب.

و واجه الموت الحقيقي بالتمرد ،والتكذيب، والاستسلام، والبكاء، والحيرة، والاتهام والصراخ ، وذلك في قصائد مخصوصة حدثنا فيها عن موت أبيه وأمه وزوجته وابنه وزعيمه .

وقد اطلعت قبل إعدادي هذه الدراسة على طائفة من المراجع التي طرحت فكرة الموت في الشعر العربي الحديث أذكر منها :

دراسة أحمد بكري عصلة (الموت في الشعر العربي الحديث من 1917- 1967) [1] التي عرض فيها مواقف الشعراء الإحيائيين والتقليديين ثم الشعراء الرومانسيين الوجدانيين من فكرة الموت متحدثاً عن علاقة الحب والطبيعة والجمال بالموت ، و استشهد بقصيدة (أبي) لنزار قباني في حديثه عن فكرة التناسخ المتمثلة في انتقال صورة الأب المُتوفى إلى صورة الابن .[2] وقصيدة (مرثاة قطة) في حديثه عن موت الجمال.[3]

كما عرض وليد مشوّح في أطروحته (الموت في الشعر السوري المعاصر من 1950-1990)[4] إشكالية الموت وقضاياها في الشعر السوري المعاصر بمنهج نفسي

---

[1] عصلة، أحمد، (الموت في الشعر العربي الحديث من 1917-1967)، 2000،منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة 1

[2] المرجع السابق ، ص 241

[3] المرجع السابق ، ص 352

[4] مشوح ، وليد، (الموت في الشعر العربي السوري المعاصرمن 1950-1990)،1999، رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراة في الاداب، جامعة دمشق

فلسفي، متخذاً من لغة النصوص شاهداً و دليلاً ، وكان للموت في شعر نزار قباني نصيبٌ من هذه الدراسة ؛ فقد حلّل تحليلاً نفسياً موقف نزار قباني من موت ابنه توفيق في قصيدته (الأمير الدمشقي)[1]، واستشهد في حديثه عن الموت المعنوي بمقاطع من قصائد نزار قباني[2].

كما أفادت هذه الدراسة من دراسات عديدة تناولت فكرة الموت في الشعر العربي الحديث لا يتسع المقام لطرح مضامينها.[3]

والآن سنوضّح بقراءة تأمليّة فكرة الموت وتجلياتها في شعر نزار قباني ، وما أضفاه الشاعر على مفردة الموت من دلالات أغنتها وجعلتها أهلاً لاختياره وفقاً للسياق الذي تحققت فيه.

وجاءت الدراسةُ في خمسة محاور أحاطت بالسياقات التي برز فيها الموتُ بأشكاله وصوره في شعر نزار قبّاني ، حقيقة ومجازاً .

المحور الأول : ثنائيّة "الموت والحب"

تبرزُ ثنائيةُ الموت والحب جليّة الأبعاد في شعر نزار قباني ، وهذا ليس غريباً ، إنّه شعور إنسانيّ مبنيّ على جمع الأضداد، فالحبّ ينطوي غالباً على خوف الفقد والغياب ،ويعني ضرورة اتخاذ موقف منهما ، وهذا يعني ،على مستوى التعبير في الخطاب، أنّ الموت بوصفه دالاً ، يرتبط بمدلولات عديدة ،تتأرجح بين تلك الرغبة في البقاء والتحقُّق، والخوف من الرحيل والفناء ، هذا الخوف الذي يجعل من العاشق بطلاً مغامراً يستميتُ في تحقيق حبّه ، الذي هو صورة من صور تحقيق الذات ، أو يجعله مستسلماً لائذاً بالهروب ، مُكتفياً برثاء حبه وذاته .وقد برز هذان الموقفان بتجلياتهما في قصائد نزار قباني التي جمعت بين الموت والحب.

---

[1] المرجع السابق ، ص109-110

[2] المرجع السابق ، ص 279-281، 305-306

[3] منها : شما ، ديبة ، (الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر من1963-1995) ،2002،رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة دمشق، والحسين ، قصي ، الموت والحياة في شعر المقاومة ،1983، بيروت ، دار الرائد العربي . عوض، ريتا ، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، 1978، ط1،المؤسسة العربية للنشر ،،المُساوي، عبد السلام ، جماليات الموت في شعر محمود درويش، 2009، ط1،بيروت، دار الساقي ، وغيرها

ونبدأ بقصيدة يبنيها الشاعر على حوار بين عاشقيْن ، وفيها يُؤدّي الشاعرُ دور أحد العاشقيْن ، مُشخّصاً الفكرة في إطار دراميّ ، تستهلّه محبوبته بسؤال إنكاريّ متألم عن كون الحب يموتُ بموت أصحابه ، ويبلى كما تبلى أجسادهم . وفي سؤاله هذا الذي طرحه على لسان العاشقة دمْج للماديّ الجسديّ بالمعنوي الروحيّ ؛ موت الجسد و موت العشق :

تقول : حبيبي ، إذا ما نموتُ
ويدرج في الأرض جثماننا
إلى أي شيء يصير هوانا
أ يبلى كما هي أجسادنا ؟

وتأتي إجابتُه مجسمةً لفكرة فلسفية حول موت الجسد وخلود الذكريات،مُتخذةً من السؤال قالباً ،وكأنه بهذا الاختيار، يبيّن أنّ سؤالها لا يجيبه إلاّ سؤال دلالته الإنكارية تفوق تلك الكامنة في سؤال محبوبته،إنكاراً ورفضاً للخوف والألم القابع فيه،ويأخذ بتعداد تجليات الحبّ وما فيه من حياة نابضة ترفض الموت وما ارتبط به من غياب :

أجبتُ: و من قال إنّا نموتُ
وتنأى عن الأرض أشباحنا ؟
ففي غرف الفجر يجري شذانا
وتكمن في الجو أطيابنا
نفيق مع الورد صبحاً وعند
العشيات تقفل أجفاننا
وإن تنفخ الريحُ طيَّ الشقوق
ففيها صدانا وأصواتنا
وإن طنّت نحلة في الفراغ
تطنُّ مع النحل قبلاتنا

ويتنامى الصراعُ في نفسه وهو يجابه الفناء، ويُشخّصه بسؤال آخر يفيض بالرفض والأسف :

نموتُ.... أما أسفٌ أن نموت ؟!
وما يبست بعدُ أوراقنا

ثم ينتصر للذات العاشقة بكون موتها خسارة لمعنى الحياة ، في سؤال افتراضيّ يجعله على لسان الآخرين الذين تخيّلهم يقلّلون من شأن العشق والعشاق:

يقولون : من نحن ؟ نحن الذين

حرام إذا مات أمثالنا

ندوس فتمشي الطريق غلالا

وتُنمي الحشائشَ أقدامُنا [1]

ويأتي الموت خياراً أمثلَ للعاشق ، وهو خيار لا مفرّ منه ولا بديل عنه، من وجهة نظر الشاعر،يُكسب الحبَّ دلالات التمرّد على السكون والعادات ،والصمت والرضى ، فيكون الموت حياةً يوجدها العشّاقُ . و مثاله ماجاء في قصيدة "اختاري" حيث يخيّر العاشقُ محبوبته بين مكانيْن لتموت عليْهما،فتُحقّق وجودَها :

إنّي خيّرتكِ فاختاري

مابين الموت على صدري

أو فوق دفاتر أشعاري [2]

ويطلب من معشوقته في قصيدة (سامبا) أن ترقص معه حتى الموت ، وكأنه يريد استهلاك لحظات الحب كلها دون تفريط بلحظة واحدة ، ويعبر عن الموت هنا بمفردة "التلاشي" ، وعبارة "جنازات الفراش" . وفي اختياره للفَراش دلالة على التحليق بوداعة تتناسب مع الرقص ، وإيحاءُ الاحتراق بالضوء :

ما علينا لو رقصنا ليلنا

حتى التلاشي

وحملنا كجنازات الفراش[3]**؟!**

وفي قصيدة (قارئة الفنجان) يرى الموتَ في سبيل المحبوب شهادة ، وهذا تحفيز للموت في سبيل العشق :

يا ولدي .. قد مات شهيدا

من مات على دين المحبوب [4]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 2005 ، ديوان طفولة نهد ، قصيدة " سؤال " ، منشورات نزار قباني ، بيروت ـــ باريس ، الطبعة الرابعة عشرة ،

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد متوحشة ، قصيدة " اختاري "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان سامبا ، قصيدة " سامبا "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد متوحشة ، قصيدة " قارئة الفنجان "

ويردّد الفكرة ذاتها في قصيدة (قطتي الشاميّة) على لسان امرأة عاشقة ،موظّفاً مفردة "ادفني" في التعبير عن الحب الذي يدفع صاحبه إلى رغبة الموت ،لما فيها من حضور للمحبوب ،يقول:

وادفنّي تحتَ رماد يديْكَ
شهيدة عشق صوفيّهْ
ادفنّي ..
حيثُ يشاء الحبّ
أنا رابعة العدَويَهْ[1]

بل إن الموت على أسوار المحبوبة تكفير للخطايا ، وفي هذا تجميلٌ وتزيينٌ للموت، يحفّز العاشق على استعذابه في سبيل العشق:

ونهداكِ كأرض الرّوم
من مات على أسوارها
كفّرَ عن كلّ الخطايا ...[2]

و يجعل الموت مرافقاً للحب وكأنهما متلازمة لا فكاك بينهما:

ستحبُّ كثيرا وكثيرا
و تموتُ كثيرا وكثيرا [3]

ويصبح الموت بشكله العنيف رغبة العشاق، لما يحمله من صدمة و هزة وتمرّد على الصمت، فهو يرغب في حب مفاجئ يباغته بقوة كالزلزال :

أحبيني
كزلزالٍ ... كموت غير منتَظَرِ...[4]

ويقول في القصيدة ذاتها رافضاً الحبَّ الصامت،صمتَ الموت، الدّال على الاستسلام :

وأرفضُ أن أواري الحبَّ
في قبرٍ من الصمت

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد متوحشة ، قصيدة " قطتي الشاميّة "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " تنويعات موسيقية عن امرأة متجردة "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان قصائد متوحشة قصيدة " قارئة الفنجان "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان " قصائد متوحشة" ، قصيدة " القصيدة المتوحشة "

أحبيني بعيدا عن بلاد القهر والكبتِ

بعيدا عن مدينتنا التي شبعتْ من الموتِ[1]

ويطلب من محبوبته في قصيدة (شجرة) أن تخوض تجربة الموت في سبيل العشق ببسالة ،كي تنبض عروقها بالحياة ، و لا تكون مجرد شجرة ساكنة صامتة؛ أي أنّ الموت هنا شكل من أشكال الحياة وحركتها الناتجة عن التناقض:

قولي شيئاً

غنّي .. ابكي .. عيشي .. موتي

كي لا يروى يوما عني

أنّ حبيبة قلبي شجرهْ [2]

بل و يحدد لها شكل الموت الذي يرغب في أن تخوضه تجسيماً للحب :

سيلي عرقاً

موتي غرقا ..[3]

ويطلب منها أن تكون مكاناً مرتبطاً بالموت، رغبةً في إيصالها إلى أقصى درجات المواجهة والمجابهة في حبّها، مُكرّراً طلبه : "كوني" ، استفزازاً وحثّاً، فيتحقق وجودها بالموت :

كوني قبراً .. كوني حتفاً[4]

و في قصيدة (أحبّك جدا) يجعل الشاعرُ بطلَ قصيدته يعترف بقوة وفخر بأنه يعلم أنّ العلاقة بين حب معشوقته والموت علاقة حتمية ،ومع هذا فهو يرغب بخوض غمار هذه التجربة حتى النهاية، ولذا نجد معجم الموت محيطاً بعالم العشق :

أحبك جدا

وأعرفُ أنّ هواكِ انتحار

بل و يخدّر نفسه بدلالة الموت الوهميّة وكونها حياة وانتصاراً لا فناء وهزيمة :

قتيلا على شفتيْكِ انتصار

ونراه سعيداً بموته قتيلاً في سبيل حبها :

أحبّك جداً

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان " قصائد متوحشة" ، قصيدة " القصيدة المتوحشة "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " شجرة "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " شجرة "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " شجرة "

وأعرفُ منذُ البدايهْ
بأنّي سأفشلْ
وأنّي خلال فصول الروايهْ
سأُقتَلْ
ويحمل رأسي إليك
وأنّي سأبقى ثلاثينَ يوما
مسجّى كطفلٍ على ركبتيكْ
وأفرحُ جدا بروعةِ تلك النهايهْ [1]

وتطلُّ الفكرة ذاتها في قصيدة (بيروت والحب والمطر) ، حيث يرى أنّ للموت روعة مرغوبة:

امنحيني روعةَ الإحساس بالموتِ ... [2]

ويجعل الموت سبيلاً للحياة في قوله :

زيديني موتاً
علَّ الموتَ إذا يقتلُني يحييني [3]

ويتلذذ بالموت في ممارسة الحب ،واصفاً إياه بـــ"المثير" في قصيدة (وبر الكشمير):

واقتربي يا جزرَ البللور
فإنّ الموتَ عليكِ مثيرْ [4]

وحين تلمع عينا محبوبته تعتريه رغبةٌ للموت الذي يحدد صورته بالذّبح :

عندما يرتفع البحر بعينيكِ كسيْفٍ أخضر في الظلمات
تعتريني رغبةٌ للموت مذبوحاً على سطح المراكب [5]

ويجمع بين الميلاد والموت والبعث ، فيكون الموت جزءاً من هذا الثالوث، معبّراً عن اجتياح حبه كلّ تفاصيل حياته :

أعطيني وقتاً
حتى أعرفَ ما اسمُكِ

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد متوحشة ، قصيدة " أحبك جدا "
[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " بيروت والحب والمطر "
[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " جسمك خارطتي "
[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أشعار خارجة على القانون ، قصيدة " وبر ا لكشمير "
[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي ، قصيدة " تجليات صوفية "

حتى أعرفَ ما اسمي
حتى أعرف أين ولدتُ
وأين أموتُ
وكيف سأُبعثُ عصفوراً بين الأجفانْ[1]

وفي قصيدة (كتاب الحب) يشبّه حبّه لمحبوبته بالموت والولادة ، فيجمع بين النقيضيْن في التشبيه :

حبّكِ مثل الموت والولادهْ
صعبٌ بأن يعادَ مرّتين ...[2]

ويعدّ موته في سبيل عيون محبوبته عزاء له ،ويعبّر عن موته بالانتهاء في قوله:

عزائي إذا لم أعد
أن يقال : انتهى في عيون [3]

بل ونراه يطلق على محبوبته لقب "الموت الجميل"، ويطلب منها أن تتفنن في قتله برغبة سادية لجلد ذاته العاشقة، ويُكرر طلبه مُعلقاً إياه بأوضاع متناقضة ، يقول:

طالما فتّشتُ عن تجربة تقتلني
وأخيراً ... جئتِ يا موتي الجميلْ
فاقتليني نائماً أو صاحياً
اقتليني ضاحكاً أو باكياً[4]

و يكثّف ذكر مفردات الموت في مقطع من مقاطع القصيدة ليرسم مشهداً للفناء، ثم يخرج من صورة الموت تلك حياةً نابضة :

وفي لحظات القنوط ، الهبوط ، السقوط ، الفراغ ، الخِواءْ
وفي لحظات انتحار الأماني وموت الرجاء
تغدو حياتي حديقة وردِ[5]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي ، قصيدة " قراءة في نهديْن إفريقيين "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان كتاب الحب ، قصيدة " كتاب الحب "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد ، قصيدة " رحلة في العيون الزرق "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي ، قصيدة" دعوة إلى حفلة قتل "

[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي ، قصيدة " تناقضات ن.ق الرائعة "

ويتحدث عن فكرة تعدُد الموت في قصيدة (ملاحظات في زمن الحب والحرب) ،تأكيداً لخلود حبه وثباته وعدم تحوله :

ولكنّهم أعدموني مراراً

وأرخوا عليَّ الستارْ

ولكنْ برغم تعدد موتي

بقيتُ أحبّكِ يا زهرة الجلَّنارْ[1]

ويجلّي نزار قباني فكرة الموت والحياة بأسلوب فلسفيّ، يجعلنا نغوص في عمق مشهد العشق دون الوقوف عند سطحية نهاية صراعهما؛ فقد ينتصر الميت القتيل ويحيا ، ويُهزم القاتل الحيّ ويموت ألماً . ففي قصيدة (ديك الجنّ الدمشقي) يتحدث عن موت الحب بمفردة"القتل" ،حيث يجسّم مشهداً يقتل العاشق فيه معشوقته، ويحيلها جثة هامدة، فإذا به هو القتيل، لا هي :

حتى بموتكِ ما استرحتُ

حسناءُ ،لم أقتلك أنت

وإنما نفسي قتلتُ...[2]

ويأتي الموت معبّراً عن السلبية وفتور العاطفة ، ففي قصيدة (إلى ساذجة)[3] ينعت شفاه محبوبته بالميّتة:

أبحث يا ميتة الشفاه

عن شفَة تأكلني

ثم نراه يُطلق صفة الموت على هذه المحبوبة ولا يكتفي بذم شفتيها فقط، فهي :

هامدة كالموت ، كالصقيع

ونراه يعنون قصيدة بمفردة الموت (إلى ميْتة)، ولهذه التسمية نكهة الطعن واللعن ،وتجريد المخاطبة من الحب والذكرى، واقتلاعها من عالم الحب .ويشبّه تخلّصه من حبها ،بتمزيق خيوط الكفن. يقول مُتسائلاً مُتعجباً من قدرته على الخلاص من أسرها القاتل:

ما الذي حركّني ؟

كيف مزقتُ خيوط الكفن ؟[4]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان الرسم بالكلمات

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد " ، قصيدة " إلى ميتة"

و في قصيدة (نفاق)[1] يشبه تاريخ علاقته بمعشوقته الغادرة بالجثة الهامدة :

وتاريخنا جثة هامدهْ

أمام الوُجاق

ويستخدم مفردة " الدّفن " في الحديث عن غياب الوفاء في علاقتهما، وذلك في القصيدة ذاتها حيث يقول:

ونحن بكلتا يدينا

دفنّا الوفاء

وطوق الياسمين الذي أهداه لمحبوبته، فألقته باحتقار، يصيرُ جثة بيضاء :

ولمحت طوق الياسمين

في الأرض مكتوم الأنين كالجثة البيضاء

تدفعه جموع الراقصين [2]

ويعبّر عن رغبته الغاضبة بالانتقام من حبه، لأنه ضلّ طريقه، بخطابٍ يوجهه لمحبوبته التي لا تستحق قلبه وكتاباته، طالباً منها دفن رسائله في التراب :

أتلفيها ...

وادفني كل رسالاتي بأحشاء الوقود[3]

وينعى حنينه في خطابه الغاضب لمن كانت حبيبته،مبيناً أنها ماتت بموت حنينه :

مات الحنين ... أتسمعين ؟

و متّ أنت مع الحنين [4]

والموت تعبير عن تغيّر النظرة إلى دلالات الأشياء بسبب موت العاطفة بتحوّلها ، فاللون الأخضر الذي طالما عشقه بطلا قصيدة (عند واحدة)[5] ، فقد معاني النضارة والتجدد والخصوبة والفرح؛ لأنهما الآن مصابان بالفتور العاطفي :

فالأخضر المضنى أضيق به

ومتى يملّ الخضر المضنى ؟!

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد " ، قصيدة " طوق الياسمين "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "، قصيدة " رسائل لم تُكتب لها "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد" ، قصيدة " لن تطفئي مجدي "

[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "

اللون مات أم أنّ أعيننا

هي وحدها لا تبصر اللونا ؟!

ونراه أحيانا يزهد في النساء والعشق والجنس، ويؤثر الابتعاد عن هذا العالم الذي تملّكه ؛لأنه فقد روح الإثارة وصار يتكلم عن الّرماد المرتبط ببقايا الجثة المحروقة التي تستحق الرّثاء :

وشذاكِ المثير صار رمادا

فأرثي شذاكِ أم أرثيكِ؟![1]

ويواجه المرأة التي كان يهواها بأنه لم يعد عاشقها ،معبّراً عن حبه لها بأنـــه مجـــرد إحـــساسُ مراهق، وأنّ ذلك المراهِق قد مات، والرجل البدائي البريء قد انتهى ، و" الانتهاء" مفـــردة مـــن مفردات الموت أيضا وذلك في قصيدة (إيضاح إلى من يهمها الأمر)[2]:

لن تُغرقيني في هواكِ بشبر ماءِ

فبداخلي َمات المراهقُ من زمانٍ

وانتهى الرجل البدائي

وينتفض لرجولته في قصيدة (إلى قدّيسة)[3]، التي وجه فيها خطاباً غاضباً لحبيبته التي ترفض حياة رجولته وتريده ناسكاً صوفياً لا يقربها :

وأنا أمام سريرك الزاهي

كقطٍ مستكينْ

ماتت مخالبه وعزّتُهُ وهدّته السنين

أنا لن أكون ـــــــــــ تأكدّي ـــــــــــ

القطّ الذي تتصوّرينْ

ولا يخفى ذلك المعنى المجازي في تعبيره (ماتت مخالبه) المـــؤدّي دلالـــة اختفـــاء الـــشراسة والصراع والوحشية ، وهي تجسيم للفحولة .

ويشبّه ،في قصيدة (الاستحالة)[4]، الروتينَ المملَّ في العلاقة العاطفية بالموت ،والعاشقين بالأموات الذين ينتظرون قيام الساعة :

تكرّرنا...

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " أشعار خارجة على القانون " ، قصيدة " النساء والمسافات "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " أشعار خارجة على القانون "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد"

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " أشعار خارجة على القانون "

تعودنا على الموت ..انتظرنا في كراسينا
كما ينتظر الأمواتُ في أكفانهم يومَ النشور

و ينتقم من المرأة التي يخاطبها في قصيدته (المقبرة البحرية)[1]، حيث ينتزع الحياة من تلك المسافة الفاصلة بين ثدييها ،واصفاً إياها بالمقبرة البحرية، ويحمل هذا الوصف معنى الحياة الصاخبة ، بأمواجها ومدّها وجزرها وبحّارتها ومغامراتهم ،وما ألمّ بهذه الحياة من موت يغرق في الصمت . وبهذه المقارنة بين الماضي الذي يعجّ بالحياة، والحاضر الذي يسكنه الموت، يُؤجّج الشاعرُ مشاعرَ الحسرة في قلب مُخاطَبته:

بينَ نهديكِ قرى محروقةٌ
وملايينُ ملايينُ الحُفَرْ
وبقايا سُفُنٍ غارقةٍ
ودروعٍ لرجال قُتلوا
لم يجيء عن واحدٍ منهم خبرْ
كلُّ من مرّ بنهديْكِ اختفى
والذي ظلّ إلى الصبحِ انتحرْ
هذه مقبرة بحرية
دُفنَ الآلافُ فيها
من مغولٍ ، ومجوسٍ ، و تترْ

وينعتُ الموتَ بنعوت متفرّدة تضفي على دلالاته دلالاتٍ ، فالموت قد يُنعت بكونه أندلسياً ، وكأنّ للموت جنسية ونمطاً، يرتبط شكله بمكان ما :

أعطيني وقتاً
كي أتفادى هذا الوجه الأندلسيَّ ، وهذا الصوت الأندلسيّ
وهذا الموت الأندلسيَّ[2]

ويجعل " الفم وأجزاءه " محاطاً بمفردات الموت، فيتحدّث عن قبلة الحياة التي تحيي لتميت :

لمّا تصالب ثغرانا بدافئة

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " أشعار خارجة على القانون "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي ، قصيدة " قراءة في نهدين إفريقيين "

لمحت في شفتيها طيف مقبرتي

ويرى أنّ ذكرى هذه القبلة خالدة في قلبه لا تموت :

ذهبت أنت لغيري ... وهي باقية

نبعاً من الوهج لم ينشف ولم يمتِ[1]

بل إنّ الموت بلا لثم خسارة ينبغي أن لا تحدث :

طعامنا اللثم فلو نُهينا عنه

إذن متنا بغير لثم[2]

ويموتُ هياماً ورغبة بشفتَيْ محبوبتــه ، اللتــيْن لقّبهمــا بــالمقبرتَيْن والتــابوتيْن، وأنّ لثمهمــا فناء لهذه الشفاه و له ،يقول:

شفتان مقبرتان ، شقهما الهوى

في كل شطر أحمر تابوتُ

شفة كآبار النبيذ مليئة

كم مرة أفنيتها وفنيتُ

الفلقة العليا دعاءٌ سافرٌ

والدفء في السفلى فأين أموت ؟![3]

ويعبّر عن غموض منطق محبوبته بالاحتضار ،وهي مرحلة يصارع الموتُ فيها الحياةَ، وينتصر في نهاية ذلك الصراع:

يريد .. و لايريد... فيا لثغرٍ

على شطيِّه يحتضرُ الوضوحُ [4]

ويجعل شَعر محبوبته يعايش تجربة الموت بتموجات خصلاته :

وأجمع الشَعر الذي

مات من التموّج [5]

وحزامها يموت هياماً حين يعانق خصرها :

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان طفولة نهد ، قصيدة " القبلة الأولى "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " عند الجدار "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد ، قصيدة " مشبوهة الشفتين "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " الموعد المزوّر "

[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " شبّاك "

ومات الحزام

ضنىً ... وانهدام [1]

ويستخدم الموت في التعبير عن صعوبة الوصول إلى المحبوبة، فهي لا تستجيب لنداءاته،فيموت فمه في تجسيم فكرة عدم وصول صوته لمحبوبته :

وجف النداء ومات الفم

وفر وراء ردائك قلبي [2]

وموت الفم يدفعنا للحديث عن الهجران والبعاد ،والتعبير عن ذلك بالموت، فمحبوبته سراب يموت فلا يمتّع عاشقه الذي يلاحقه حتى بوهم الوصول :

وأنت خيط سراب

يموت قبل الوصول[3]

وحين لا تأتي المحبوبة ويطول غيابها يغرق عاشقها في عالم يموج موتاً، بكل مافي كلمة الموت من دلالات الألم والظلمة وأفول الحياة بعصافيرها وطيبها وجذوع أشجارها :

وهاجر كل عصفور صديق

و مات الطيب وارتمت الجذوع [4]

و يرى أنّ الحياة بلا حب خاوية باردة صامتة كالموت ، فيقول معرّفاً بطل قصيدته بالموت ،حين تحدّث عن القبر والمقبرة ، وهي من مفردات عالم الموت :

لا تسألي ما اسمك ؟ ما أنت ؟ أنا

رطوبة القبر وصمت المقبرهْ ...[5]

ويذكر على لسان بطل قصيدته (إلى صديقة جديدة) أنّ قلبه قبل حبها يشبه مقبرة ميّتة الزهور:

وكان قلبي قبل أن تلوحي

مقبرة ميتة الزهور [6]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " خصر "

2 (قراءة في نهديْن إفريقيَّيْن ، أحبك أحبك والبقية تأتي)قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قالت لي السمراء ، قصيدة " مكابرة "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قالت لي السمراء ، قصيدة " أمام قصرها "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قالت لي السمراء ، قصيدة " حبيبة وشتاء "

[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان طفولة نهد ، قصيدة " من كوّةالمقهى "

[6] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد ، قصيدة " إلى صديقة جديدة "

ويعبّر بالموت عن طعن الحب بتحول المحبوب إلى حب آخر وعلاقة أخرى ، فها هي المحبوبة في قصيدة " خاتم الخطبة " تنسى حبها القديم وتخطب شخصاً آخر ،وترتدي خاتم الخطبة الذي حمّله الشاعر دلالات الماضي المنسيّ لحبّه المسجّى جثماناً صريعاً ، ودلالات القادم القاهر المتجاهل :

ويحَكِ ! في إصبعكِ المخملي

حملت جثمان الهوى الأولِ

ونراه يستخدم مفردة " صرعى " في التعبير عن موت ما دار بينهما من حوارات عشق ، وفي هذا التعبير تصوير للموت قتلاً، كي يبيّن وحشية فعلها ، و في قوله " مأتم أشواقنا" و " نعش الحب " ، يعزّز جرمها ويضفي مزيداً من أجواء الموت على هذا المشهد :

و كل ما قلنا وما لم نقل

وبوحنا في جانب المنقل

تساقطت صرعى على خاتم

كالليل ، كاللعنة ، كالمنجل

كيف تآمرت على حبنا

جذلى ونعش الحب لم يقفل

وينهي قصيدته بتساؤله :

لم أتصور أن يكون على

اليد التي عبدتها مقتلي [1]

و في قصيدة " الرّجُل الثاني"، يسمي (النهد) بمفردة الموت، فيحدث تلاقحاً دلالياً بين الكلمات يوحي بما يرمي إليه من روعة المجاز ، حيث تركته حبيبته وتزوجت، فكان وصف ثدييها بـ (مدفَن الثلج) تعبيراً لغوياً له دلالة نفسية تشير إلى ما كان من موت علاقتهما ، هذا على المستوى الدلالي البعيد ، بينما يوحي الاختيار للوهلة الأولى بأن نهديها كانا يشعلان فيه نار الحب ويدفنان كلّ معنى للبرود :

يا مدفن الثلج ... هل غيري يزاحمني ؟

وهل سرير الهوى ما عاد منفردا ؟! [2]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قالت لي السمراء ، قصيدة " خاتم الخطبة "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان حبيبتي ، قصيدة " الرجل الثاني "

وقد يعبّر بالموت عن ذروة العشق التي تهلك صاحبها فيرغب في موت هذه المشاعر ليستريح ، ففي قصيدة "رسالة من تحت الماء " نراه يجعل من الموت خلاصاً من عذاب العشق والشوق إلى الحبيب :

علّمني

كيف تموتُ الدمعة في الأحداقْ ...

علّمني .. كيف يموت القلبُ

وتنتحر الأشواقْ ...[1]

ويستخدم شاعرنا الموتَ محركاً للعشق والعواطف التي ينبغي أن تتحقق قبل فناء العمر وذبول الجسد ،فنراه يهدّد بالموت حبيبتَه الشابة المغرورة ،التي سيذبل نهدها وشفتاها وتخسر عاشقيها، وقد عبّر عن الهرم بقوله " موت الموسم ":

وغدا سيذوي النهد والشفتان منك ... فاقدمي

وتفكري بمصير نهدك بعد موت الموسم [2]

ويبين في قصيدة " نار " أنّ عمر الحب قصير كعمر الشموع ، وهذه دعوة للمسارعة في أن يحيا الإنسان الحب بكل ما فيه ،وأن لا يؤجّل التعبير عن مشاعره :

ياحبيبي خذني لدفء ذراعيك

فعمر الهوى كعمر الشموع[3]

ويستخدم التناقض الدلالي بين الموت والحياة ،في التعبير عن روعة العشق رغم ما فيه من صعاب وألم ، فيكون الموت في سبيل الهوى حياة لا متناهية الأبعاد ، وقد ظهرت هذه الفكرة في قصيدة " إلى تلميذة " حيث وضع تعريفاً للحب يحمل هذا التناقض :

هو هذه الأزمات تسحقنا معا

فنموت نحن وتزهرُ الآمال [4]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قصائد متوحشة ، قصيدة " رسالة من تحت الماء "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان قالت لي السمراء ، قصيدة " نهداك "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " نار "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان الرسم بالكلمات ، قصيدة " إلى تلميذة "

وقد يجتمع الحب والكراهية معاً في القلب ، فيمتزج العناق المأخوذ من عالم الحـــب بالرغبـــة المُلحّة في موت المحبوبة قتلاً على يد عاشقها :

وددت إذ طوّقتها قتلها [1]

ويقف الموت في قصيدته (صديقتي وسجائري) ،التي قالها على لسان صديقته ، مجسماً فكرة الذوبان والتماهي في العشق حدّ الفناء والتلاشي، بل والاحتراق حيث تمتزج اللذة بالألم في رغبة ساديّة عجيبة، وكأنّ الموت رغبةٌ، من أجل أن يحيا العاشق حبه بكل أبعاده :

دخّن .. لا أروع من رَجُلٍ
يفنى في الركن ويُفنيني[2]

وهكذا ، وبعد تجوالنا في قصائد نزار قبّاني باحثين عن تجليات فكرة الموت في حديثه عن الحب ،وجدنا متلازمة بين الموت والحب الذي يؤمن به الشاعر ، ذلك الحب الثائر المتمرّد الذي يأبى إلاّ أن يكون ، منتصراً على الغياب والتلاشي والتقهقر والخنوع ،وهذه من دلالات الموت التي يرغب نزار قباني من العشاق التغلّب عليها ، ومحقّقا ما في الموت من دلالات التفاني في سبيل الهدف المنشود ،والتمرّد على الحياة المفتقرة لوهج العشق وحرارته، والحرية في أن يكون العاشق في المكان الذي يريده هو، دون أن يُفرض عليه شيء يحول بينه وبين إرادة قلبه وشعوره.

المحور الثاني : الموت في التعبير عن قهر المرأة الشرقيّة

أحاطت مفردة الموت إحاطة لافتة بحديث نزار قبّاني عن واقع المرأة الشرقية الذي يراه مُهيناً يئنُّ تحت وطأة الوحشية الذكورية، التي لا ترى في الأنثى إلاّ الجسد الشهي البهيّ فتلتهمه بشراسة . وربما أراد نزار قبّاني بهذا الطرح الفاضح أن يغير من نظرة المجتمع الشرقي للمرأة، ليخرج من هذه اللعنة السلوكية المتوارثة عند إحساسه بالإشمئزاز منها وقد بدت عارية في قصائد الشاعر ، وأن يحفّز في المرأة الشرقية روح التمرّد والرفض على أن تبقى محصورة في سجن الجسد المسلوب المستكين لإرادة فحولة همجية .

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان أنت لي ، قصيدة " هرّة "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان حبيبتي ، قصيدة " صديقتي وسجائري "

ففي قصيدة "أوعية الصديد"[1] يؤكد أنّ نمط الرجل الشرقي ،الذي لا يرى في المرأة إلا جسدها باقٍ ، وهو يرى صورة السلطان العثماني عبد الحميد في كل رجل ، وكأنّه لم يمت ، وهنا يرفض الشاعر الإقرار بالموت ، مُعبّراً عن خلود هذه الصفة السلبية وتوارثها :

لا ... لم يمت عبد الحميد

ويعبر عن أثر الجنس الوحشيّ على جسد الأنثى بالموت :

كم مات تحت سياطكم نهد شهيد[2]

و يقول مخاطباً "لصوص اللحم"، الذين يتاجرون بأجساد البغايا ،على لسان بغيّ متألمة، ترى أنّ أجسادهنَّ ميتة فقدت الإحساس :

نحن آلات هوى مجهدة

تفعل الحب و لا تنفعل

انبشوا في جثث فاسدة

سارق الأكفان لا يختجل

وارقصوا فوق نهود صلبت

مات فيها النور ... مات المخمل[3]

ويستخدم عبارة " جماجم الأموت " المأخوذة من عالم الموت ،في الدلالة على الظلم المحيط بالمرأة الشرقية التي سُلبت معنى الحياة والحرية :

وأديرُ مفتاح الحريم فلا أرى

في الظلّ غير جماجم الأموات [4]

ويجعل الشاعر المرأة الشرقية في قصيدة (رسالة إلى رجل ما)[5] تتمرد على موتها ، فالموت لا يواجَه دائماً بالراية البيضاء؛ أي أنّ المرأة الضحية في عالمنا الشرقيّ ، قد تصرخ فجأة على قاتلها ،وترفض سكينه ،يقول:

ياسيدي العزيز ، من سطوري

لا تنزعج !

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد"

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد" ، قصيدة " أوعية الصديد "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قالت لي السمراء " ، قصيدة " البغي "

[4] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قالت لي السمراء " ، قصيدة " البغي "

[5] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " يوميات امرأة لا مبالية "

إذا كسرتُ القمقمَ المسدود من عصورِ
إذا نزعتُ خاتم الرصاص عن ضميري
إذا أنا هربتُ من أقبية الحريم في القصورِ
إذا تمرّدتُ على موتي ..
على قبري ، على جذوري
والمسلخ الكبير ...

فقد نادت المرأة التي تكلّم نزار قباني على لسانها الرجل ، ولم تُحدد هويته أو اسمه ، فهو "رجل ما"، ويفيد هذا التعبير رغبةً في تعميم الخطاب ،ليشمل الرجال كافة.وتصفه وصفاً ، ظاهره الاعتراف والإقرار بمكانته وقدره ، وباطنه التنكُّر والسخرية،فهو "سيدها العزيز"، ولا يخفى ما لدلالة "سيدي" من إظهار نظرة الرجل الشرقيّ للمرأة ،ونظرتها هي عن ذاتها ،بأنها أقلّ منه مكانة وقدراً.

ثم تُقدّم شبهَ الجملة "من سطوري"، لتسليط الأضواء على خطابها ،وما يحمله من ثورة ، تطيح به و بعالمه ، مُتخذةً من "إذا " التي كرّرتها قبل كل سلوك تمرديّ، أداة تُدخله بسرعة ومباغتة إلى مشاهد لم يألفها ، ولم يتوقّعها ، وتأتي مفردة الموت"على موتي"، مجاورة لمفردات ارتبطت بعالمها المقهور" قبري ،جذوري، المسلخ الكبير"؛ لتظهر تمرّدها المطلق عليها .

ويكرر نزار قباني فكرة مواجهة المرأة الشرقيّة للموت ،في قصائد عديدة،وبتجليات متنوعة ، ففي قصيدة (اليوميات)[1]،تأخذ هذه المواجهة شكل المذكرات أو كتابة اليوميات ،لامرأة يجعلها تبوح بأنها تعيش في عالم الموتى ،وهذا رمز لغياب معنى الحياة والحرية والبوح ، فتُقدّم في بوحها الحزين شبه الجملة "مع الموتى" لتخلق تعاطفاً وشعوراً بالأسف والحسرة على حياتها وشبابها عند كلّ من يسمعها،فها هو ذا يقول على لسانها :

مع الموتى أعيشُ أنا
مع الأطلال والدّمَنِ

وتطلق حكماً عاماً على كل من يحيط بها، فأقاربها كافة " موتى" ولكنهم بلا قبر ولا كفن؛ أي أنها جرّدتهم من مفردات الموت الحقيقيّ، لتُبيّن أنهم أحياء ، وهنا تكمن المقاربة بين الموت وحياة هؤلاء الصامتين السلبيين الذين لا يغيرون واقعها المرير ولا يفهمون شكواها :

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " يوميات امرأة لا مبالية "

جميع أقاربي موتى

بلا قبر ولا كفن

ثم يجعلها تتساءلُ مُظهرة ضياعها ويأسها ممن حولها :

أبوحُ لمنْ؟ و لا أحدٌ

من الأموات يفهمني

إلى أن تقول مُخبرة عن حالها ، معلنة عن مكانها ، في دعوة لإنقاذها، مجسّمة دعوتها في سؤال يفيض حثّاً وتوسلاً ورجاءً :

أنا في منزل الموتى ..

فمن من قبضة الموتى يحرّرني ؟!

بل ونسمعها تصرخ معلنة أنها حيّة لا ميتة ، وفي صرختها طلب صريح بأنها تريد من مجتمعها الذكوري الاعتراف بكينونتها :

أنا إنسانة حيّهْ ...

أيا مدنَ التوابيت الرّخاميّهْ

وتتحدث عن صديقاتها ، شريكاتها في تجربة الموت ، وتصفهنَّ بأنهن موتى غير أموات، وبأنهن طيور تموت بصمت:

صديقاتي

رهائنُ تُشترى وتُباع في سوق الخرافاتِ

سبايا في حريم الشرق موتى غير أمواتِ

يعشنَ ، يمتْنَ مثل الفطر في جوف الزجاجاتِ

صديقاتي

طيور في مغائرها تموت بغير أصواتِ

و حتى فساتينها تشاركها تجربة الموت ،فهي:

فراشات محنّطةٌ

على الجدران أصلبها

وفي قبر من الحرمان أدفنها ...

وهكذا برز الموتُ في الحديث عن موقف المرأة الشرقية من واقعها السلبي المهين حيث جاء في خطين ؛ الأول موقف المستسلم العاجز من التخلص من الهمجية الذكورية وهذه صورة من صور

الموت ، وموقف المتمرّد على الصورة السابقة التي يجللها الموت وإن بدا التمرّد ضعيفاً مكتفيا بالصراخ ورثاء الذات .

المحور الثالث : الموت في التعبير عن أرَق الكتابة الإبداعية

ويبرز الموتُ بروزاً غريب الدلالة، وإن لم يكن غريب الطرح على مستوى الفكرة ،في حديث الشاعر عن خلق القصيدة ، فميلاد القصيدة يبدأ بلحظة نزاع بين الشاعر المبدع للفكرة ،وبين الصورة الجديدة الفريدة التي ترتديها، والتي تصبغ ذاتها بصبغة واحدة تستعصي على النظير ، وتشكّل في ذاتها أسلوب الشاعر، وتميّزه عن غيره ، فتنبثق الحياة من الموت ، ويكون الموت ميلاداً ،والميلاد نهاية يرنو إليها الإبداع .

يقول نزار قباني عن صعوبة ميلاد القصيدة مبرزاً فكرة الفناء المطلق الذي يسبق خلق القصيدة،والذي يعانيه الشاعر الباحث عن التفرّد :

خطيئتي ..
أنّي أظلُّ دائماً منتظراً قصيدةً
تجيء من شواطيء الغرابهْ
وأنني أدركُ يا حبيبتي
كيف يكونُ الموت في الكتابهْ[1]

ويتحدث عن كون كتابة الشِّعر موتاً يحقّق حضورَ الشاعر وخلودَه،فالشاعر يصارع الفكرة وتصرعه ، ويحقق هذا الصراع حضوراً يزداد بازدياد تضحية الشاعر وتفانيه في سبيل فكرته ، فالعلاقة بين موته وحضوره طردية :

إنها السيف الذي يثقبني وحدي
فأزدادُ مع الموت حضوراً [2]

ويقدّم تعريفاً للمرأة في قصيدة (سأقول لكِ احبك)[3]، جاعلاً منها قصيدة ، تُدخله في تجربة الموت على أيّ حال تعامل معها ، فالولوج إلى عالم القصيدة هو ولوج إلى الموت ، والموت

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ديوان " أشعار خارجة على القانون " ، قصيدة " قصائد غير منتهية في تعريف العشق "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ديوان " أشعار خارجة على القانون " ، قصيدة " قصائد غير منتهية في تعريف العشق "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " هكذا أكتب تاريخ النساء "

حاضر لا يغيب ، يبقى وإن اجتمعت الأضداد حوله ، فالقصيدة تجعله يموت في الحاليْن ، الكتابة وما فيها من ثبات وترسيخ ، والنسيان وما فيه من طمس و زوال :

إنّ شرط الشهوة عندي مرتبط بشرط الشِّعرْ

فالمرأة قصيدة أموت عندما أكتبها

وأموت عندما أنساها

وفي قصيدة (الافتتاحية)[1]، يبيّن لمحبوبته أنه جسّم موته في قالب الشعر، وقدّمه لها ،وبذلك فهو يربط الحبَّ بالموت، وما يوحي به من ألم ، وهذا طرح سبق أن تأملناه في حديثنا عن ثنائية الموت والحب ، وهو أيضاً ترسيخ للفكرة التي يتبنّاها الشاعر في بيان أن ميلاد القصيدة يأتي من موت الشاعر ، ولا يخفى ما لهذه الفكرة من حضور دلالة الحزن المرتبطة بالموت في الكتابة الإبداعية التي غالباً ما تظهر مجللة بالدمع والسواد ورثاء الذات العاشقة المتميّزة بإنسانيتها ، والتضحية المستميتة في بيان الحب وإثباته :

أقدّم موتي إليك على شكل شعرٍ

فكيف تظنين أني أغنّي ؟!

ويعبّر عن استهلاك دلالات مفردات الحب بمفردة (مات) التي كررها مرتيْن في قصيدة (كتاب الحب)[2] ،حيث يقول :

لأنَّ كلام القواميس ماتْ

لأنّ كلام المكاتيب ماتْ

لأنّ كلام الروايات ماتْ

أريدُ اكتشاف طريقة عشق

أحبكِ فيها بلا كلماتْ

وهكذا، فإن نزار قباني يرى في ميلاد القصيدة موتاً للشاعر يحقّق وجوده بل ويُخلّد ذكره ، فالمبدع يتفانى ليخلد في قصيدته التي تبقى بعد موته ، وهو في إبداعه لا يعرف النفاق؛ لأنه يقدّم ذاته قرباناً للفكرة التي يسعى لتحقيقها وإثباتها ، وهو مسكون بهاجس الحزن المرغوب فيه ،والمرتبط بعالم الموت المذكور في ميلاد القصيدة ، وهو يسعى في إبداعه إلى إيجاد دلالات جديدة للمفردات في القصيدة ، خاصة مفردات العشق، دلالات لم تمت بسيف الاستهلاك ، لتبقى

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " أشهد أن لا إمرأة إلا انت "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " كتاب الحب "

قوية الوقع في نفس متلقيها ، تؤتي أكلها الذي أراده الشاعر ، وتباغت من يسمعها ، فيعترف بعبقرية مبدعها .وستكون لنا وقفة تأملية في الحديث عن تجليات الموت في الكتابة الإبداعية ، في المحور الآتي ؛ محور الموت في الخطاب السياسي ، حيث يهيمن الموت على الإبداع ،فيعجز الشاعر عن البوح بسبب الخوف من البطش والقتل والظلم .

المحور الرابع : الموت في الخطاب السياسي

كثيراً ما يبرز الموت بتجلياته في الحديث عن المشهد السياسي ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فالسياسة قائمة على صراع قطبيْن ؛ الحياة والموت ، أو الوجود والفناء ، على المستويين، الحقيقيّ الماديّ المحسوس ، والمعنويّ الفكريّ أو العقديّ، ولا شكّ أن الموت صورة تفرض ذاتها على الساحة السياسية ، مُجسّمة أثر موقف (ما)، لفردٍ أو لجماعة ،على سيرورة حياة الآخرين ، فهناك من يُقتل مع سبق الإصرار والترصّد ممن يعاديه، وهناك من يُقتل سهواً ، وهنك القاتل الذي يرتبط الموت بهويته ، فيحلّ حيث يحلّ هو ، وهنك من يموت في سبيل عقيدة يؤمن بها ، مظهراً هذا الإيمان في رداء الموت ، وهناك من يموت فيختفي في موته القاتل والمقتول ، وقد ظهر هذا كلّه وأكثر منه في شعر نزار قباني عن الموت، في المشهد السياسي العربي عامة ، والمشهد السياسي الفلسطيني خاصة .

ففي قصيدة (قصة راشيل شوارزنبرغ)[1] يتحدث عن معجم الموت في زمن الحرب والاحتلال ، هذا الموت الإجباري الذي يقهر الشاعر قهراً، يفوق قهر الموت الطبيعي الذي يمر بمحطته كل إنسان . ولذا يستخدم مفردات خاصة بهذا الموت كالإعدام : **وأعدموا نساءنا**

واليُتم : **ويتّموا أطفالنا**

والذّبح والشهادة: **أمي أنا الذبيحة المستشهدهْ**

والقتل : **وأختي القتيل**

والقبور الجماعية : **عن بقعة غالية الحجار**

يضيء برتقالها كخيمة النجوم

تضم قبر والدي وإخوتي الصغار

ويسمّي هؤلاء المجرمين من مسببي الموت للشعب الفلسطيني بـ"الكلاب"، دالاً بهذه التسمية، على حقده وغضبه واحتقاره:

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

ومات والدي الرحيم

بطلقة سدّدها كلب من الكلاب

عليه ، مات والدي العظيم

في الموطن العظيم

وكفّه مشدودة إلى التراب

إنه يواجه الموت مواجهة المنتصر للضحية ، فيصف والده بأنه رحيم وعظيم، و يصف وطنه بالعظَمة ،مقابل الحقد على القاتل ؛ مُسبِّب هذا الموت المتجسم في مفردة (كلب).

ويهدد العدو الإسرائيلي في قصيدة (منشورات فدائية على جدران إسرائيل)[1] بالموت، مبيّناً طرائقه وأشكاله، ليثير الفزع في قلوبهم ، فالشعب العربي يدخل تجربة الموت من أجل قضيته برغبة تجعله يكرر تجربة لا تتكرر ،كناية عن حب الموت ،وانتشار فكرة التضحية ، كما أن من مات سيخلق حقداً على قتلته، وكأنه مات آلافاً من المرات :

لن تستريحوا معنا

كلُّ قتيل عندنا

يموتُ آلافاً من المرّات

والموت يحيط بالعدوّ إحاطة شاملة، فلا مفرّ لهم منه، فهو في كل فرد ، ذكراً كان أم أنثى ،وبهذا يكون الموت أداة تعذيب نفسية يخيف بها الشاعرُ عدوَّ أمته :

والموت في انتظاركم

في كلّ وجهٍ عابر أو لفتة أو خصرْ

الموت مخبوءٌ لكمْ

في مشط كلّ امرأة

وخصلةٍ من شَعْر . .

ويوجه خطابه إلى الجندي العربيّ المجهول، ممجداً طريقة موته،ومبيناً أن هذه الطريقة في الموت هي سبيل الخلاص من الذل، داعياً إلى اتخاذها منهجاً وأسلوباً :

لو يُقتَلون مثلما قُتلتْ

لو يعرفون أن يموتوا مثلما فعلتْ[2]

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة ، قصيدة " إلى الجندي العربي المجهول "

ويختم قصيدته بنتيجة أن موت هذا الجندي الذي اختار الفعل لا القــول ،هــو الــصدق ،وهــو الانتصار :

يا أيها الغارق في دمائهِ

جميعهم قد كذبوا

وأنت قد صدقت

جميعهم قد هزموا

ووحدك انتصرت [1]

وقد يكون الموت هو الخيار المشرّف في الصراع مع العدو ففي قصيدة (طريق واحد)[2]، يقــول مبيناً هذه المعادلة بين الحياة الكريمة أو الموت ببسالة :

أصبح عندي الآن بندقيهْ

إلى فلسطينَ خذوني معكم يا أيها الرجالْ

أريدُ أن أعيش أو أموتَ كالرجالْ

وفي قصيدة (خبز وحشيش وقمر)[3] نجده يربط الموت بالحياة ربطاً حتمياً ، مــسلطاً الأضــواء على هذا التناقض الذي يجعل منهما متلازميْن ،مبيناً أن الشعب العربي يمارس طقــوس موتــه حين تتاح له فرص لعيش أفضل أو لتحقيق حلمه؛ لأنه يغرق في الأوهام والخزعبلات :

يترك الناسُ الحوانيت ويمضون زمَرْ

لملاقاة القمرْ...

يحملون الخبز والحاكي إلى رأس الجبلْ

ومعدّات الخدَرْ

ويبيعون ويشرون خيالْ

وصوَرْ...

ويموتون إذا عاش القمرْ

ويكرر فكرة موتهم ،للتأكيد على هذه المأساة التي تعيق رقيّهم نحو الحلم فيقول :

يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمرْ

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة ، قصيدة " إلى الجندي العربي المجهول "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "

ويهزّون قبورَ الولياء

علّها ترزقهم رزّا .. وأطفالا ... قبورُ الأولياء

وفي تكراره لعبارة "قبور الأولياء" سخرية مريرة ، وهنا نقف عند كلمة (قبور) التي تعيدنا لفلسفة الموت والحياة ،وكأنّ نزار قباني يستغرب من استجداء الشعوب العربية للحياة من عمق الموت ، بل ونراه يستغرب متألماً من تحويل دلالة الألفاظ التي يبتدعها الشارع العربي ليبقى مخدراً في أوهامه :

ذلك الموت الذي ندعوه في الشرق

"ليالي" ... وغناءْ

في بلادي...

في بلاد البسطاءْ ...

وتفيض قصيدته الغاضبة (الحب والبترول)[1] بمفردات الموت ودلالتها السلبية في خطابه الغاضب لأمير النفط الذي يلومه فيه على ضياع فلسطين ، كالقتل والدفن ورماد الموتى ، والإجهاض، والصلب ، والأشلاء :

كهوف الليل في باريس قد **قتلت مروءاتكْ**

على أقدام مومسة هناك **دفنت ثاراتكْ**

فبعت القدس بعت الله **بعت رماد أمواتكْ**

كأنّ حراب إسرائيل لم **تجهض شقيقاتكْ**

ولم تهدم منازلنا .. ولم تحرق مصاحفنا

ولا راياتها ارتفعت على **أشلاء راياتكْ**

كأنّ جميع من **صُلبوا**

على الأشجار في يافا وفي حيفا

وبئر السبع ... ليسوا من سلالاتكْ

تغوصُ القدس في دمها

وأنت **صريع شهواتكْ**

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " حبيبتي "

أما في قصيدته (رسالة جندي في جبهة السويس)[1] فللموت مفرداته الخاصة ، فالشاعر يتلذذ في تصوير موت الأعداء الإسرائيليين في جبهة السويس ، وهذا جليّ في تشبيهاته لمشاهد موتهم على يد الجنود المصريين :

الآن أفنينا فلول الهابطين

أبتاه ، لو شاهدتهم يتساقطون

كثمار مشمشة عجوزْ

يتأرجحونْ

تحت المظلات الطعينة مثل مشنوق تدلّى في سكونْ

وبنادق الشعب العظيم تصيدهم

زرقَ العيونْ

وفي القصيدة ذاتها تحت عنوان (الرسالة الرابعة 56/11/1) ينعت الإسرائيليين بالجراد؛ لأنهم يأكلون خيرات البلاد بشراسة ويذرونها خراباً ، ثم يستهل رسالته بخبر يلصق فيه الموت بالجراد في إطار تبشير والده بالنصر :

ماتَ الجرادْ

وينادي والده مكرراً الخبر السابق ،ومؤكداً أن الجراد كلّه قد مات ، وهذا تعزيز للبشرى :

أبتاه ، ماتت كلُّ أسراب الجرادْ

ثم يذكر الكيفية التي مات فيها الجراد مستخدماً مفردات(السحق و والحرق والذبح) :

لم تبقَ سيدة ولا طفل ولا شيخ قعيدْ

في الريف ، في المدن الكبيرة ، في الصعيدْ

إلاّ و شاركَ يأبي

في حرق أسراب الجرادْ

في سحقهِ .. في ذبحهِ حتى الوريدْ

ويعلن في قصيدة (منشورات فدائية على جدران اسرائيل)[2] أنّ أعور الدجال سوف يموت ، وأعور الدجال رمز للصهاينة ،بكل ما في موته من معاني القضاء على الشر ، وأن الخلود والبقاء للشعب العربي المقاوِم :

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " حبيبتي "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

سوف يموتُ الأعور الدجّال

سوف يموت الأعور الدجّال

ونحن باقون هنا ...

ونراه يقهر العدو بمواجهة الموت الذي يحيقه بفرسان السيف والقلم بالفرح ، فالموت في سبيل الوطن عرس، وتبدو القصيدة إنساناً تشاركه ثمن الكلمة فتُقتَل ، يكون قتلها احتقاراً للعدو، وانتصاراً لصاحبها:

صديقي كمال

صديق الدفاتر والحبر والكلمات الجديدهْ

أ كلُّ الرصاص الذي أطلقوهُ عليكْ

لقتل قصيدهْ؟!

أ كلُّ الثقوب التي تركوها على شفتيْك

لقتل قصيدهْ؟!

لقد كان عرساً جميلا

وكنّا نزّفكَ بين رنين الدفوف وضوء المشاعل

وكنتَ تغنّي[1]

وفي قصيدة (ثمن قصائدي)[2] تبرز مفردات (الاغتيال والذبح) في الحديث عن الثمن الذي يدفعه الشاعر الحرّ وهو الموت الفظيع لكتاباته بل ولذاته :

تلك التي تطاردُ الحرفَ

وتغتالُ القمرْ...

إلى أن يقول :

فالناسُ

يقرأون في بلادنا القصيدهْ ...

ويذبحون صاحب القصيدهْ..

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة ، قصيدة " عرس الخيول الفلسطينية "

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " الرسم بالكلمات "

وفي قصيدة (من مفكرة عاشق دمشقيّ)[1] يعاتب العرب على هوانهم وهزائمهم المتعاقبة، ويـــذكر أنّ أجدادنا غاضبون في قبورهم ، ويطرح فكرة موت الأحياء وحياة الأموات :

وقبرُ خالدَ في حمص نلامسهُ

فيرجفُ القبرُ من زوّاره غضبا

يا ربّ حيّ رخام القبر مسكنُهُ

و ربّ ميْتٍ على أقدامه انتصبا

وتموت الضفائر الطويلة للأميرة الجميلة ، وموتها هو قصّها انتقاماً من الحب ، ويعلَن الحداد على تلك الضفائر. وموت الضفائر رمز لموت التاريخ العربي ، وموت الجمال والشرف العربي، وموت الحلم العربي :

وانتقم الخليفة السفّاح من ضفائرْ الأميرهْ

فقصّها ضفيرة ... ضفيرهْ

وأعلنت بغداد ـــــــــــ ياحبيبتي ـــــــــــــ الحدادْ

عامين

وأعلنت بغداد ـــــــــــ ياحبيبتي ـــــــــــــ الحدادْ

حزناً على السنابل الصفراء كالذّهبْ[2]

ولكنّ شاعرنا يعلن خلود الضفائر الميتة منتصراً لكل صاحب رسالة ومبدأ ، مُبيناً أنّ القاتل هـــو الميت بلا ذكرى و لا معنى :

سيمسحُ الزمان يا حبيبتي

خليفة الزمانْ

وتنتهي حياته كأيّ بهلوانْ[3]

وفي ديوان (إلى بيروت الأنثى مع حبي) يتحدث عن موت المدن العربية بيد أبنائها ويخصّ مدينة بيروت ، والموت هنا يحمل دلالات التخريب والتدمير والتجهيل وإثارة الحروب الأهلية . وقد اخترت أن أتوقف عند مفردات الموت في القصائد التي جاءت فيها وقفـــة دلاليـــة ســـريعة، تكشف رؤية شاعرنا وموقفه :

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان الرسم بالكلمات ، قصيدة " المجد للضفائر الطويلة "

[3] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان الرسم بالكلمات ، قصيدة " المجد للضفائر الطويلة "

ففي قصيدة (البحث عن مساحة للكتابة)[1] يتحدّث عن طعن القصائد وقتلهـــا، جـــاعلاً بيـــروت قصيدة، وقد سبق أن ذكرنا دلالات كلمة القتل في الحديث عن الموت :

أحمل بيروت قصيدة مطعونة على راحة يدي

وأقدّم جسدها للعالم شهادة ناصعة

على عصر عربيّ يحترف قتل القصائد

ويجعل من بيروت بجعة بيضاء قُتلت، فصرخ :

آه .. ما أصعب موت البجع !!!

ويتحدث عن رسوخ ظاهرة الموت في عالمنا العربي وكأنه يكره الحياة ،بل وكأنه يحترف الموت ويجعل منه سبقاً:

ومادام البنزين متوفراً والعجلات متوفرة

والمجانين كثيرين .. فإنّ سباق الموت العربي مستمر

ولن يربح في النهاية إلا الشيطان

وفي نهاية هذا السباق سيحمل رماده ورماد بيروت ، ومفردة (الرماد) توحي باحتراق الجـــسد بعد الموت والسكون بعد الاشتعال ، وكأنّ شاعرنا ينقل لنا فكرة الموت (المشترك الحتمي) الـــذي يربط الإنسان بالمكان :

أحملُ قارورة فيها رماد بيروت

وقارورةً أخرى فيها رمادي

وتظهر مفردة "الانتحار" في القصيدة ذاتها ، معبرة عن دلالة الموت بالإرادة والاختيار ، فالمدن العربية تموت باختيارها ،ولكلّ مدينة طريقتها في الانتحار ، وفي النهاية فإن كل طرق الانتحار تؤدي إلى نهاية واحدة هي الموت :

كل يوم تنتحر مدينة عربية على طريقتها الخاصة

واحدة تموت بالسُم

وثانية تموت بالقهر

وثالثة تموت بالكآبة

ورابعة تموت بالحبوب المنومة

وخامسة تموت من فرط الشرب والتعهّر

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " إلى بيروت الأنثى مع حبي "

ويكرر هذا المعنى في قصيدة (سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت)[1]، مسلّطاً الأضواء علـــى فكرة قتل الكتابة بقتل دوافعها الرئيسة المتمثلة بالحب والحلم :

أطلقوا النار على الحلم فأردوه قتيلا

أطلقوا النار على الحبّ فأردوه قتيلا

ثم يأخذ باستعراض تفاصيل الحياة البسيطة في بيروت التي كانت تقدّم للشعراء مادة خصبة للكتابة ، ولكنها سُرقت فأخذ شاعرنا يكتب من داخل الموت،وهو يرفض شعره هذا، معلناً بهذا الرفض موقفه من الموت ومن كل ما يصدر عنه :

سرقوا رائحة البنّ

وأحلام المقاهي .. وقناديل الشوراع

ذلك الصوت الذي يصدر عني ليس صوتي

إنني أكتب من داخل موتي

ولذا نراه يصرخ بآهٍ حزينة، مازجاً بين الكآبة وموت الكتابة :

آه كم عانيت من داء الكآبهْ

آه كم عانيت من موت الكتابهْ

شنقوني بخيوط المفردات

بل ويؤكد عبثية الكتابة إذا كانت محكومة بالموت وذلك في قصيدة (بيروت محظيُتكم)[2]:

ما الذي نكتب ياسيدتي ؟

نحن محكومون بالموت إذا نحنُ صدقنا

ثم محكومون بالموت إذا نحن كذبنا

ويعلن في نهاية القصيدة السابقة أن موت لبنان هو موت للبنانيين وهذه رسالة تحذير وإدانة :

إن يمتْ لبنان متّم معهُ

كلّ من يقتله كان القتيلا

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " إلى بيروت الأنثى مع حبي

[2] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " بيروت حبيبتي "

وهكذا فاض خطاب نزار قبّاني السياسيّ بمفردة الموت وأخواتها ، وتأرجحت هذه المفردة بين قطبيْن متصارعيْن ،صراع الأطراف وموقف نزار قباني من هذه الأطراف ، فقد أثنى على الموت في سبيل الوطن والفكرة النبيلة ، ووجّه سهام غضبه على قتلة الشعوب المتعطشين لسفك الدماء ونزع الحياة من الأشخاص والأشياء ، وعلى الخونة وقاتلي الحرية ،خاصة من يقتل الإبداع والمبدعين ، وتحدّث عن موت المدن العربية مُظهراً أسفه وأساه على واقعها ، وقد خصّ مدينة بيروت إبّان الحرب الأهلية .

المحور الخامس : الموت الحقيقي

ويخطف الموتُ أحباب الشاعر ؛ أباه ، وأمه ، وابنه توفيق ، وزوجته بلقيس ، والزعيم جمال عبد الناصر ، فيواجه الموتَ الحقيقي بمشاعر الحزن والإنكار والتكذيب والحقد وغيرها من الأحاسيس المتداخلة التي سنحاول كشف بعضها بتأمل الدلالات النفسية في عدد من التراكيب المختارة في هذه القصائد .

ففي قصيدة " أبي" [1] يتحدث فيها عن موت أبيه رافضاً فكرة موته ، فيستهلها بسؤال طرحه الناس على مسمعه ويجيب بالرفض الجازم لفكرة موت أبيه :

أمات أبوك ؟

ضلال أنا لا يموت أبي

إنه يصف موت أبيه بالضلال ، وينتصر لذاته وكأن موت أبيه إهانة لشخصه. ونشتم في عبارته ردة فعل هجومية على حقيقة الموت ، ثم يأخذ برصد مفردات الحياة ليثبت حضور الغائب، ولكنه ،وهو يرصدها،يعترف بما أنكره في مطلع القصيدة من حقيقة موت أبيه :

هنا ركنه ... تلك أشياؤه

تفتّق عن ألف غصن صبي

جريدته ... تبغه ... متكّاه

كأنّ أبي بعد لم يذهب

ثم يرتد إلى روح الرفض الأولى ولكن بنبرة أقل حدّة :

أبي ... لم يزل بيننا والحديث

حديث الكؤوس على المشرب

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قصائد "

ويستحضر أباه فيناديه، موجهاً له خطاباً يفوح بالتطمين لترضى روحه . وفي ندائه لوالده بعث للحياة وتقريب للغائب :

أبي ... يا أبي ... إنّ تاريخ طيبٍ

وراءك يمشي فلا تتعبِ

ويسرّي نفسه بتطمينها بأنّ من غاب لم يغب ،فهو صورة حية لأبيه ، وهذه محاولة أخرى لمواجهة الموت وما يعجّ به من حقيقة الغياب :

حملتك في صحو عينيّ حتى

تهيّأ للناس أني أبي

ثم يطرح سؤالاً يفيض حيرة واعترافاً حزيناً بحقيقة موت والده، وتمتزج هذه الدلالة بمعنى الرفض :

فكيف ذهبت ولا زلت بي ؟

وينهي قصيدته بحتمية عودة والده في تموز وهذه محاولة لتحدي الموت :

فتحنا لتموز أبوابنا

ففي الصيف لا بدّ يأتي أبي

ويتخذ الموت بعداً دلالياً خاصاً في قصيدة (خمس رسائل إلى أمي)[1] ففيها يذكر شاعرنا موت الأب بأسلوب آخر مميز على لسان الفتى، الذي يرسل رسائله إلى أمه من واقع غربته، فها هو ذا يوصي أمه بالفُلّة التي كان والده يتعهدها بالرعاية والحب ، ويضفي على تلك الفلّة المشاعر الإنسانية، فيجعلها تحلم بعودة والده الميّت ،وتبحث عنه في أرجاء البيت ، وبهذا جعل نزار قباني الكائنات غير الإنسانية، تشاركه مواجهة تجربة الموت بتجلياتها:

ومات أبي ...

و لازالتْ تعيشُ بحلم عودتهِ

وتبحث عنه في أرجاء غرفتهِ

وتسألُ عن عبائتهِ ..

وتسأل عن جريدته..

وتسأل حين يأتي الصيف عن فيروز عينيهِ

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " الرسم بالكلمات "

وفي رسالته الخامسة يطرح الشاعر على لسان الفتى المغترب سؤالاً يبعثه بكل ما يحمل من حيرة وحقيقة ترفض ذاتها ،إلى أمه حول غياب والده الذي رفض تصديق حقيقة موته ، ثم اعترف بهذا الموت مترحّماً بحسرة على والده ،و مجسماً ذكرياته في أسئلة متلاحقة :

أتى أيلولُ .. أين دمشقُ؟

أين أبي وعيناه ؟

وأين حريرُ نظرته وأين عبيرُ قهوتهِ؟

سقى الرحمن مثواه..

وفي قصيدة (إلى الأمير الدمشقي توفيق قباني)[1] التي رثى فيها ابنه توفيق، وقد هاجمه الموت وهو في ريعان شبابه إثر عملية جراحية في قلبه ، جسّم فكرة الموت فيها تجسيماً وحشياً، يجعل من يقرأ قصيدته يتقمّص أحاسيسه المنتفضة المنكرة صنيع الموت.

وسأقف في تحليل هذه القصيدة عند تراكيب محددة واختيارات جسّمت موقف شاعرنا من موت ابنه ، وأبدأ بعنوان القصيدة حيث نعت الشاعر ابنه بـــ"الأمير الدمشقي" ، وجاء اللقب في المقطوعة الرابعة من القصيدة مكرراً، ولكنه استبدل كلمة "الجميل" بكلمة "الدمشقي" الواردة في العنوان :

سأخبركم عن أميري الجميلْ

سأخبركم عن أميري الجميلْ

وكأنّ الموت قد منح الأب المفجوع الحقّ في تنصيب ابنه أميراً بكلّ ما في هذه المُفردة من دلالات النبل والشهامة والوسامة، التي تعلي شأن الراحل فتثير شفقة ممزوجة بإعجاب.

وهو الأمير الدمشقي في أرض غريبة (لندن) ،وهو أمير والده الجميل (أميري الجميل)؛ لأن والده قد فقده فأراد أن يعوض هذا الفقد بأن نسبه إلى ذاته بياء المتكلم؛ ولأن الموت عدو الجمال وقاهره ومهلكه ، وهذا الأب المفجوع يقف مكرراً وصف الجمال، ليوحي بحسرته وحزنه على غياب صورة ابنه الجميلة التي كانت تخلق الحياة في عينيه ، ولذا نراه يدخلنا بعد هذا الوصف المكرّر في عالم من الصور الجميلة التي تجعلنا كقرّاء نتفاعل مع حزنه باستحضارنا صورة ابنه:

عن الكانَ مثل المرايا نقاءً ، ومثل السنابل طولاً

ومثلَ النخيلْ..

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان " أحبك أحبك والبقية تاتي "

وتفيض القصيدة بالأسئلة الحائرة التي تجسّم عدم القدرة على تصديق فكرة الموت واستيعابها حين تسرق من الإنسان أغلى من في حياته :

فكيف يغني المغنّي وقد ملأ الدمع كلَّ الدواة ؟

و ماذا سأكتب يا ابني وموتك ألغى كلَّ اللغاتْ

ويأتي السؤال مجسّماً حيرة الفاقد ،الوحيد في أرض غريبة ، فالموت حين يجتمع مع الغربة والوحدة يفترس بوحشية إحساسَ الأمان ومعنى الوجود ،ويعظّم الإحساس بالفجيعة :

لأيّ سماء نمدّ يدينا

ولا أحد في شوارع لندن يبكي علينا ؟؟

يهاجمنا الموتُ من كلّ صوب

ويقطعنا مثل صفصافتيْن

إلى أن يقول مكرراً فكرة الوحدة بقوله (وحدي) التي تجعل مواجهة الموت ثقيلة :

أواجه موتك وحدي

وأجمعُ كلَّ ثيابك وحدي

ثمّ يصرّح مواجهاً نفسه بحقيقة الموت التي يحاول تكذيب حدوثها ،مُكرّرا كلمة (كَذِب)، وكأنّ في التكرار حشداً لقوة يحاول صفع الموت بها ، وتطمين نفسه الجزعة بأنّ الموت الذي تحقّق لم يتحقّق:

أحاول أن لا أصدّقَ موتك، كلُّ التقارير كذبٌ

وكلُّ كلام الأطباء كذبٌ

وكلّ الأكاليل فوق ضريحك كذب..

ويكرر كلمة الموت كحقيقة يصفع بها ذاته ليصحو عليها صارخاً بها رافضاً إياها ، ويدخلنا في كل مرّة يكرر فيها لفظة (ماتْ) في صورة جميلة أسطورية لأميره الخرافي توفيق ،كي نرفض ،كما رفض، الاعتراف بحقيقة موته إزاء صورته النابضة بكل معنى للحياة :

أحاولُ أن لا أصدّقَ أنّ الأمير الخرافيَّ توفيقَ ماتْ

وأنّ الجبين المسافر بيْن الكواكب ماتْ

وأنّ الذي كان يقطف من شجر الشمس ماتْ

وأن الذي كان يخزن ماء البحار بعينيه ماتْ

فموتك يا ولدي نكتة وقد يصبح الموت أقسى النُكاتْ

ويوجّه حواراً لابنه توفيق مستهلاً إياه بندائه بهمزة النداء الموحية برغبته في عناق غائبه الذي غدا بعيداً ، وهذه أليّة لغوية يواجه بها فكرة موته وغيابه ، ويحدّثه عن ظلم الموت، مخصصاً الموت الذي يفتك بالأبناء قاهراً الآباء:

أ توفيقُ ...

لو كان للموت طفلٌ لأدرك ما هو موت البنين

ولو كان للموت عقل

سألناه كيف يفسّرُ موت البلابل والياسمينْ

و لو كان للموت قلبٌ تردد في ذبح أولادنا الطيبين

فالموت هنا بلا مشاعر ولا إدراك ولا عقل ولا قلب؛ أي أن الشاعر جرّده من كل دلالات الأنسنة ،وجعله وحشاً همجياً .

ويتحدث في قصيدة (أم المعتز)[1] عن موت والدته بأسلوب مختلف عن حديثه عن موت ابنه ، فقد فلسف موت أمه حين ربطه ،وقارنه بموت بيروت، جاعلاً موتها أكبر منها ومن واقعها :

عندما كانت بيروت تموت بين ذراعيّ

كسمكة اخترقها رمحْ

جاءني هاتف من دمشق يقول :

" أمك ماتتْ"

لم أستوعب الكلمات في البدايهْ

لم أستوعب كيف يمكن أن يموت السمك كله

في وقت واحد

كانت هناك مدينة حبيبة تموت اسمها بيروت

وكانت هناك أم مدهشة تموت اسمها فائزة

وكان قدري أن أخرج من موت لأدخل في موت آخر

كان قدري أن أسافر بين موتيْن

بل نراه يجعل كل مدينة عربية أمّاً له وبهذا فإنّ موت أمه يساوي موت جميع المدن العربية :

كلّ مدينة عربية هي أمي ..

وبموت أمه يموت إحساسه بالدفء والأمان والحنان :

---

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان " كل عام وأنت حبيبتي "

بموت أمي
يسقط آخر قميص صوف أغطي به جسدي
آخر قميص حنان
آخر مظلة مطر
وفي الشتاء القادم
ستجدونني أتجوّل في الشوارع عاريا

وتحدث عن موت الأبطال من القادة والزعماء، وخصّ جمال عبد الناصر بأربع قصائد رثاه فيها بمرارة وحزن ، ففي قصيدة (جمال عبد الناصر)[1] وجّه رسالة اتهام قاسية اللهجة إلى العالم العربي ،الذي عدّه قاتل جمال عبد الناصر وكرر عبارة " قتلناك " في مقاطع القصيدة مرّات عديدة ، مؤكداً إدانة الذات العربية التي كرهت الأبطال فقتلتهم :

قتلناك .. يا آخر الأنبياءْ
قتلناك
ليس جديداً علينا
اغتيال الصحابة والأولياءْ

ثم يبين أنّ موت جمال عبد الناصر هو موت للشعب العربي كافة أي أنّ القاتل اكتشف أنه مقتول:

قتلناك
يا حبنا وهوانا
وكنت الصديق وكنت الصدوق
وكنت أبانا
وحين غسلنا يديْنا
اكتشفنا
بأنّا قتلنا مُنانا وأنّ دماءك فوق الوسادة كانت دمانا

وينهي قصيدته باعتراف واضح أن عبد الناصر مات وأنه لن يعود ولن يستجيب لنداءاته ، وفي هذا الإقرار زيادة إدانة للعرب وبيان مقدار خسارتهم ، فلن يأتي شبيه عبد الناصر :

أنادي عليك أبا خالدٍ

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

واعرف أني أنادي بوادْ

وأعرفُ أنّك لن تستجيبَ

وأنّ الخوارق ليستْ تعادْ

ولكنّ مواجهته لموت عبد الناصر اتخذت دلالة مغايرة للدلالة السابقة في قصيدة (الهرم الرابع)[1]، حيث كانت أشبه بالهلوسات ، فهو يرفض تصديق حقيقة موت عبد الناصر، ويؤكد أنه نائم وسيفيق من نومه ويعايش الشعب العربي،و حياتهم اليومية بتفاصيلها البسيطة كما عوّدهم :

السيّد نامْ

السيد نامْ

السيد نامَ كنومِ السيف العائد من إحدى الغزواتْ

ويطرح سؤالاً يفيض بدلالة الإنكار لحقيقة موته ،ويطلق عليه لقب الهرم الرابع؛ أي أنه معلم من معالم مصر الخالدة :

وكيفَ أصدّقُ أنّ الهرم الرابع ماتْ؟!

ويأخذ بتعداد الأماكن والزوايا التي تحمل بصماته ،وينهي بالسؤال السابق نفسه هذا التعداد :

ما زال هنا عبد الناصرْ

في طمي النيل و زهر القطنْ

وفي أطواق الفلاحات

في فرح الشعب

وحزن الشعب

وفي الأمثال وفي الكلماتْ

ما زال هنا عبد الناصر

من قال الهرم الرابع ماتْ ؟!

ويواجه موت زوجته العراقية " بلقيس" التي قتلت في انفجار السفارة العراقية في بيروت سنة1981، بطريقة مشابهة لمواجهته موت القائد جمال عبد الناصر ، ويتهم العرب بقتلها، وقد

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الأعمال السياسية الكاملة

أطلق على زوجته لقب شهيدة ، وعدّها قصيدته التي بموتها مات شعره [1]،ويستهلّ قصيدته بشكر حاقد غاضب لقاتليها :

شكراً لكم

شكراً لكم

فحبيبتي قتلت وصار بوسعكم

أن تشربوا كأساً على قبر الشهيدهْ

وقصيدتي اغتيلت

وهل من أمة في الأرض ــ إلا نحن ــ تغتال

القصيدهْ ؟

وفي مواجهته لموت بلقيس يأخذ كما فعل في رثائه لابنه توفيق ولأمه ولأبيه يستحضر صـــورتها ، وفي هذا الاستحضار تضخيم لوحشية الموت الذي يدفن هذه الصور والتفاصيل الجميلة :

بلقيس...

كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس

كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي..

ترافقها طواويس

وتتبعها أيائل

وهو مُدرك لموتها ومعترفٌ به، ولذا نراه يطلب منها أن لا تغيب؛ لأن أقسى مـــا فـــي المـــوت الغياب ،وحواره مع الميّت تكرر مع زوجه بلقيس كما جاء في خطابه لابنه الميت توفيق، وهـــو رجاءٌ آملٌ حتى اللحظة بعد الأخيرة :

بلقيس

لا تتغيّبي عني

[1] تنظر قصيدة " بلقيس " كاملة في : قباني ، نزار ، كتاب " قصيدة بلقيس" ، منشورات نزار قباني ، الطبعة السابعة ، 2002

فإنّ الشمس بعدك

لاتضيئ على السواحل

ونراه يتهم بيروت بقتل زوجته هنا، بعد أن كانت بيروت هي الشهيدة والقتيلة في قصائده السابقة ، مبيّناً أن الموت فيها منتشر في كل زاوية ، وأن الجميع مهدد بالموت في هذه المدينة :

بيروت تقتل كل يوم واحدا منا

وتبحث كل يوم عن ضحيهْ

والموت في فنجان قهوتنا

وفي مفتاح شقتنا

وفي أزهار شرفتنا

وفي أوراق الجرائد

والحروف الأبجديهْ

ويأخذ ينادي زوجته الميتة في محاولة استحضارها ، ويؤكد بتكرار كلمة (مشتاقون) اشتياقه ، وحوار الميت شكل من أشكال بثّ الحياة فيه :

بلقيس

مشتاقون مشتاقون مشتاقون

والبيت الصغير

يسأل عن أميرته المعطرة الذيول

نصغي إلى الأخبار والأخبار غامضة

ولا تروي الفضول

بلقيس

وتفيض قصيدته بأسئلة يوجهها لزوجته ممزوجة بدلالات الحسرة واللوم والألم واليأس وذلك بعد سلسلة متتالية من تراكيب النداء التي تعكس لنا حبه وتعلقه بزوجته، فقد ناداها بالزوجة ،والحبيبة ،والقصيدة، وضياء العين،ويأتي النداء أيضاً في أسئلته ذاتها ،فيناديها باسمها"بلقيس"، وبلقب"الزرافة"،و"والحبيبة":

يازوجتي

وحبيبتي وقصيدتي وضياء عيني

قد كنت عصفوري الجميل

فكيف هربت يا بلقيس مني ؟

بلقيس

هذا موعد الشاي العراقي المعطر

والمعتق كالسلافه

فمن الذي سيوزع الأقداح أيتها الزرافه ؟

بلقيس

يا بلقيس

كل غمامة تبكي عليك

فمن ترى يبكي عليَّ

بلقيس كيف رحلت صامتة

ولم تضعي يدك في يدي ؟

ويجعل موتها أكبر فاجعة ، حين يجعله موتاً للعروبة :

ها نحن نسأل يا حبيبه

إن كان هذا القبر قبرك أنت

أم قبر العروبهْ

ويبين أنّ موت بلقيس عار على الأمة العربية التي تقتل الأبرياء وتترك قتل الأعداء ، وذلك في سؤاله الذي يسخر سخرية مريرة من أن يكون قتل زوجته هو نصر العرب الوحيد:

هل موت بلقيس

هو النصر الوحيد

بكل تاريخ العرب ؟

وهكذا ، يكون نزار قبّاني قد واجه الموت الحقيقيّ مواجهة ضارية ، وقد سبح ضد تياره مرّة، وسار معه أُخرى ، وخاطب الميّت مُسائلاً إياه كيف غاب، ومستحضراً صورته ،وراجياً عودته . وجرّم الموتَ ، ومن يستخدمه سلاحاً للانتقام من المتميزين والمبدعين الأحرار . وغالباً ما دمج بين موت الأشخاص وموت الأمة العربية ،منتقلاً من الخاص إلى العام ، من باب الإدانة ،أو توسيع دائرة الحزن لتشمل كل من يسمعه ، واهتم برصد تفاصيل حياة الراحلين الذين غيّبهم الموت ، تلك التفاصيل الصغيرة البسيطة التي تشكّل في مجموعها مشهداً زاخراً بالحياة ونبضها.

خاتمة :

احتلت مُفردة الموت بتجلياتها المنوّعة مكانة جلية في شعر نزار قبّاني ، وبعد رصدنا للمواضيع التي ترددت فيها وجدناها في خمسة مواضع ؛الحب والمرأة والكتابة الإبداعية والخطاب السياسي ،وهنا تراوحت مفردة الموت بين البعد الدلالي الحقيقي والبعد المجازي ، أما الموضع الخامس الذي ترددت فيه مفردة الموت ، فهو الموت الحقيقي وما يعنيه من زوال وانتهاء وغياب ملموس لذوات الأشخاص.

وقد حرصت الدراسة على بيان موقف الشاعر من الموت معتمدة السياق أو المقام وما فيه من قرائن تؤيّد الفكرة المُستخلصة ، فوجدنا موقف شاعرنا من الموت يتردد بين التأييد المُطلق والرفض الغاضب الذي يصل أحياناً إلى درجة التجريم ،وذلك بناء على استحضار الشاعر لأسباب الموت وما ينبني عليها من أبعاد دلالية للمفردة ؛فهو على سبيل المثال يدعو إلى الموت في سبيل الوطن والعشق والدفاع عن الفكرة الحرّة النزيهة لما في الموت هنا من دلالات التمرّد على الخنوع والتقاليد البالية والكبت وغيرها من المشاعر أو السلوكيات السلبية ، وفي المقابل نراه يجرّم الموت وأصحابه ،حين يتحدّث عن أعداء الحياة من المجرمين والأعداء ،ونراه أحياناً يتأرجح بين تجريم الموت ومجابهته بالرفض والتكذيب ،وبين الاستسلام له والاعتراف بحضوره ،وذلك في القصيدة الواحدة ،مُجسماً الصراع الداخلي الذي يعانيه في تقبُّل الموت الحقيقي خاصة .وقد تراوح حضور الموت في قصائد نزار قباني بين الكلمة الواحدة والقصيدة الكاملة ،فقد يظهر الموت داعماً لفكرة رئيسة أرادها الشاعر ، فيظهر في كلمة أو كلمات معدودة في القصيدة ، وقد يكون هو المُسيطر على هاجس الشاعر فيتربّع بحضوره اللفظيّ والدلاليّ القصيدة من مطلعها إلى خاتمتها .

وأختم تجوالي في عالم الموت عند الشاعر نزار قباني بهذا المقطع الشعري الذي وجه فيه خطاباً للقارىء، يبين فيه أنّ مواجهة الموت الكبرى تكون بسلاح الحب ،والتعبير عنه شعراً حيث نفى الموت عن كلّ عاشق شاعر، خلّد فكرة حبّه بقصيدة فتمرّد على الموت وما يعنيه من فناء ،، وهو بهذا يجعل لحياته امتداداً يفوق حدودها الوجودية ،فعمره لم يذهب سدى لأنه عاش الحب وعبّر عنه:

سألتك بالله كن ناعماً
إذا ما ضممت حروفي غدا
تذكر وأنت تمر عليها
عذاب الحروف لكي توجدا
سأرتاح لم يك معنى وجودي
فضولا و لا كان عمري سدى
فما مات من في الزمان
أحب و لا مات من غردا [1]

[1] قباني ، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان " قالت لي السمراء " قصيدة " ورقة إلى القارئ"